يعقوب بن ابراهيم

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[19]

يعقوب بن إبراهيم

يعقوب بن إبراهيم

صاحب أبي حنيفة.

أحد أئمة المذهب الحنفي.

تولى قضاء بغداد على كره منه وبعد شدة ضغط من أمير المؤمنين هارون الرشيد فصار قاضي القضاة.

نسبه:

هو الإمام العلامة فقيه العراقيين يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بجير بن معاوية.

كنيته:

يكنى أبا يوسف.

نذير الكلاب:

قال يعقوب بن إبراهيم:

كنت مارًا في طرقات الكوفة وإذا بعليان المجنون، فلما أبصرني سلم عليَّ وقال لي:

- أيها القاضي: مسألة.

قلت:

- هات.

قال عليان:

- أليس قد قال تعالى في كتابه العزيز: {وَمَامِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم} [سورة الأنعام الآية: ٣٨].

قلت:

- بلى.

قال عليان المجنون:

- أليس قد قال الله عز وجل: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [سورة فاطر الآية: ٢٤].

قلت:

- بلى.

قال عليان المجنون:

- فما نذير الكلاب؟

قلت:

- لا أدري، فأخبرني.

هز عليان رأسه وقال في صوت ينبض بالإصرار:

- لا والله، لا أقول إلا بمن من شواء، ونصف من فالوذج - نوع من الحلوى.

فأمرت بمن جاء بها، ودخلت معه مسجدًا، فلما انتهى منها وأكلها عن آخرها قلت:

- هات الجواب.

فأخرج من كُمه حجرًا وقال:

- هذا نذير الكلاب.

الحجة بالمذاق:

ذات ضحى دخل أبو يوسف على أمير المؤمنين هارون الرشيد، فسأله الرشيد:

- ما تقول يا أبا يوسف في الفالذوج واللورينج أيهما أطيب؟

قال يعقوب بن إبراهيم:

- يا أمير المؤمنين: لا أقضي بين غائبين عني.

فأمر أمير المؤمنين بإحضارهما.

فجعل أبو يوسف يأكل من الفالوذج لقمة ومن اللورينج أخرى حتى أتى على نصفيهما ثم قال:

- يا أمير المؤمنين: ما رأيت خصمين أجدل منهما كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجة.

إن وأن:

دخل يعقوب بن إبراهيم القاضي على أمير المؤمنين هارون الرشيد يومًا ومعه الكسائي وهما في مذاكرة وممازحة.

فتساءل الكسائي:

- يا أبا يوسف: هل لك في مسألة؟

قال يعقوب بن إبراهيم:

- في نحو أو فقه؟

قال الكسائي:

- بل في فقه.

فضحك أمير المؤمنين هارون الرشيد وقال:

- تُلقى على أبي يوسف الفقه؟

قال الكسائي:

- نعم يا أبا يوسف: ما تقول في رجل قال لزوجه: أنت طالق إن دخلت الدار؟

قال أبو يوسف:

- إذا دخلت الدار طلقت.

قال الكسائي:

- أخطأت يا أبا يوسف.

فضحك أمير المؤمنين هارون الرشيد وتساءل:

- كيف الصواب يا كسائي؟

قال الكسائي:

- إذا قال: أن وجب الفعل ووقع الطلاق، دخلت الدار بعد أو لم تدخل.

وإذا قال: إن بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق حتى تدخل الدار.

شهادة:

ذات يوم شهد الفضل بن الربيع وزير أمير المؤمنين هارون الرشيد عند قاض القضاة أبي يوسف فرد القاضي شهادته، فعاتب أمير المؤمنين هارون الرشيد يعقوب بن إبراهيم في ذلك وقال:

- لم رددت شهادته؟

قال أبو يوسف:

- سمعته يقول أنا عبدك، فإن كان صادقًا فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذبًا فكذلك.

الجهل يشهد على صاحبه:

صحب أمير المؤمنين هارون الرشيد أبا يوسف لدى زيارته أم القرى، وفي مكة أشار يعقوب بن إبراهيم على أمير المؤمنين أن يتقدم لإمامة المصلين.

فصلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ركعتين وسلم.

فنادى يعقوب بن إبراهيم:

- يا أهل مكة: أتموا صلاتكم فإن أمير المؤمنين مسافر ونحن قوم سفر.

فنادى رجل من أم القرى:

- يا أبا يوسف: نحن أعلم منك وممن علمك.

فأجابه يعقوب بن إبراهيم:

- لو كنت أعلم لما تكلمت في صلاتك.

مع أبي حنيفة:

* سأل أمير المؤمنين هارون الرشيد أبا يوسف يومًا:

- صف لي أخلاق أبي حنيفة:

فقال يعقوب بن إبراهيم:

- كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله مجانبًا لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهزارًا ولا ثرثارًا، إن سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب، وما علمته يا أمير المؤمنين إلا صائمًا لنفسه ودينه مشتغلاً بنفسه عن الناس، لا يذكر أحدًا إلا بخير.

فقال الرشيد:

- هذه أخلاق الصالحين.

* وجاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة ذات ضحى وقال له:

- يا إمام أقرضني مبلغًا من المال وهذه داري رهنا عندك.

فأعطاه مبلغًا من المال.

وذات يوم مر رجل بالإمام أبي حنيفة وقت الظهيرة والشمس حامية فوجد الإمام أبا حنيفة واقفًا بجوار الدار والشمس تزفر لهبًا وتجلد الأرض بسياطها النارية وأمامه ظل الدار الذي أصبح مرهونًا عنده، فقال له الرجل:

- لماذا أراك واقفًا في لهب الشمس وظل الدار أمامك؟

قال أبو حنيفة:

- إن هذا البيت مرهون عندي وإني أخشى أن أكون قد انتفعت به

- ظن أن هذا شيء من الرّبا -.

* ودخل أحد العلماء القرية ذات يوم وقال لأهلها:

- أنا مستعد أن أجيب على أصعب سؤال.

وكان موجودًا بين الحاضرين الإمام أبي حنيفة.

فقال له أبو حنيفة:

- أنا أسألك سؤالاً.

فقال العالم:

- ما هو؟

قال أبو حنيفة:

- إن **النملة** التي كلمت نبي الله سليمان عليه السلام كانت ذكرًا أم أنثي؟

فسكت العالم وكست وجهه سحب الحيرة.. ثم قال:

- الله أعلم.

فقال الإمام أبو حنيفة:

- كانت أنثى.

فتساءل العالم:

- وما دليلك على ما تقول؟

قال أبو حنيفة:

- لأن الله عز وجل يقول في كتابه: {قَالَتْ نَمْلَةٌ} [سورة النمل الآية: ١٨] بتاء التأنيث.

ثم أردف الإمام أبو حنيفة:

- إني ما كنت أسألك ولكني أحببت أن أقول لك: لا تغتر بنفسك.

* وسأل رجل جاحد الإمام أبا حنيفة ذات يوم:

- هل رأيت ربك؟

قال أبو حنيفة:

- سبحان ربي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

فقال الرجل الجاحد:

- هل لمسته؟ هل شممته؟ وهل ذقته؟

قال الإمام أبو حنيفة:

- سبحان ربي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [سورة الشورى الآية: ١١].

فتساءل الجاحد:

- فإذا لم تكن رأيته ولا لمسته ولا شممته ولا أحسسته فمن أين تثبت أنه موجود؟

فقال أبو حنيفة:

- يا هذا: هل رأيت عقلك؟

هز الجاحد رأسه وقال:

- لا.

قال أبو حنيفة:

- هل سمعت عقلك؟

قال الجاحد:

- لا.

قال الإمام أبو حنيفة:

- هل شممت عقلك؟

قال الجاحد:

- لا.

قال أبو حنيفة:

- هل أحسست عقلك؟

قال الجاحد:

- لا.

فعاد أبو حنيفة يتساءل:

- أعاقل أنت أم مجنون؟

قال الجاحد:

- أنا عاقل.

فتساءل أبو حنيفة:

- فأين عقلك؟

قال الجاحد:

- موجود.

قال الإمام أبو حنيفة:

- **كذلك الله ﷻ موجود.**

أبو حنيفة يرد على الملحدين:

قال يعقوب بن إبراهيم:

بينما كان أبو حنيفة تلميذًا يأخذ عن شيخه حماد بن أبي سليمان وبينما كان أبو حنيفة نائمًا إذ رأى في منامه رؤيا مبهمة:

رأى خنزيرًا يريد أن ينحت من ساق شجرة، فمال غصن صغير وضرب الخنزير ضربة موجعة فابتعد صارخًا ثم انقلب في الرؤيا إنسانًا جلس في ظل هذه الشجرة يعبد الله.

فذهب أبو حنيفة إلى شيخه حماد ليفسر له هذه الرؤيا فوجد أستاذه مغتمًا حزينًا فسأله عن سبب ذلك فقال أستاذه:

جاء أشخاص ملحدون يعتقدون أن الكون مخلوق بالطبيعة وليس له رب، وجاءوا إلى ملك هذه البلاد وقالوا له:

- أرسل أحد علماء الإسلام ليوضح لنا أن للكون إلـهًا، فبعث إليَّ الملك واتفقنا على مكان وزمن نجتمع فيه لنجادل في إثبات ذات لا تراها العيون ولا تلمسها الأيدي، وإني أخشى الفتنة على الناس، فهتف أبو حنيفة وكأنه وجد شيئًا كان مفقودًا طال البحث عنه:

- الآن عرفت تفسير رؤياي: فالخنزير رأس الملحدين يريد أن ينحت ساق شجرة العلم، وأما الغصن الصغير الذي ضرب الخنزير أنا تلميذك ضرب الخنزير بحجته فأسلم وتتلمذ عليك، فدعني أجادلهم، فإن غلبتهم فما بالك بالأستاذ؟ وإن غلبوني فأنا التلميذ الصغير، ولو جادلهم الشيخ لغلبهم.

فقال الشيخ حماد:

- على بركة الله.

فخرج أبو حنيفة إلى الناس وقال:

- إن الشيخ أكبر من يأتي لمثل هذه المسائل الواضحة الساطعة ولهذا اختار أصغر تلاميذه وهو أنا، لمجادلتكم وستجدون بعون الله إجابة واضحة كافية شافية.

فقالوا:

- سوف نرى.

ثم تساءلوا:

- في أي سنة ولد ربك؟

قال أبو حنيفة:

- الله عز وجل لم يلد ولا كان له أبوان وكتابه يقول: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾} [سورة الإخلاص الآية: ٣].

فقالوا:

- في أي سنة وجد ربك؟

قال أبو حنيفة:

- الله تبارك وتعالى موجود قبل الأزمنة والدهور - لا أول لوجوده -.

فقالوا:

- نريد أمثلة من المواقع المحض لتوضح لنا الإجابة.

قال أبو حنيفة:

- ماذا قبل الأربعة في الأرقام الحسابية؟

قالوا:

- ثلاثة.

قال أبو حنيفة:

- وماذا قبل الثلاثة؟

قالوا:

- اثنان.

فعاد أبو حنيفة يتساءل:

- وماذا قبل الاثنين؟

قالوا:

واحد.

فتساءل أبو حنيفة:

- وماذا قبل الواحد؟

قالوا:

- لا شيء قبله.

فقال أبو حنيفة:

- إذا كان الواحد الحسابي لا شيء قبله فما بالكم بالواحد الحقيقي وهو الله تعالى - إنه قديم لا أول لوجوده -.

فقالوا:

- في أي جهة يتجه وجه ربك؟

قال أبو حنيفة:

- لو أحضرنا مصباحًا في مكان مظلم في أي جهة يتجه نوره؟

قالوا:

- في جميع الجهات.

قال أبو حنيفة:

- إذا كان هذا حال النور الصناعي فما بالكم بنور السماوات والأرض؟

قالوا:

- عرفنا شيئًا عن ذات ربك أهي صلبة كالحديد أم سائلة كالماء أم غازية كالدخان والبخار؟

قال أبو حنيفة:

- هلا جلستم بجوار مريض مشرف على الموت؟

قالوا:

- جلسنا.

قال أبو حنيفة:

- كان يكلمكم فصار بعد الموت ساكنًا، وكان يتحرك فصار ساكنًا فما الذي غير حاله؟

قالوا:

- خروج روحه.

قال أبو حنيفة:

- أخرجت وأنتم موجودون معه؟

قالوا:

- نعم.

قال أبو حنيفة:

- صفوا لي هذه الروح أهي صلبة كالحديد؟ أم سائلة كالماء؟ أم غازية كالدخان والبخار؟

قالوا:

- لا نعرف عنها شيئًا.

قال أبو حنيفة:

- الروح - وهي مخلوقة - لا يمكنكم معرفة كنهها، أفتريدون مني أن أصف لكم الذات الإلـهية؟ إن ذاك لعجيب.

قالوا:

- في أي مكان ربك موجود؟

قال أبو حنيفة:

- لو أحضرنا كوبًا مملوءًا بلبن محلوب الآن فهل في هذا اللبن سمن؟

قالوا:

- نعم.

قال أبو حنيفة:

- أين يوجد السمن في اللبن؟

قالوا:

- ليس له مكان خاص بل هو شائع في كل جزيئات اللبن.

قال أبو حنيفة:

- إذا كان الشيء المخلوق وهو السمن ليس له مكان خاص أفتطلبون أن يكون للذات الإلـهية مكان دون مكان؟ إن ذاك لعجيب.

قالوا:

- إذا كانت كل الأمور مقدرة من قبل أن يخلق الكون فما صناعة ربك الآن؟

قال أبو حنيفة:

- أمور يبديها - يظهرها - ولا يبتديها: يرفع أقوامًا ويخفض آخرين.

قالوا:

- إذا كان لدخول الجنة أول فكيف لا يكون لها آخر ونهاية؟

قال أبو حنيفة:

- الأرقام الحسابية لها أول وليس لها نهاية.

قالوا:

- كيف يتأتى أن تزاد خيرات الجنة بالإنفاق منها ولا يمكن أن تنفد؟

قال أبو حنيفة:

- خلق الله شيئًا في الدنيا يزداد بالنفقة منه وهو العلم، فكلما أنفقت

منه زاد ولم ينقص.

قالوا:

- أرني ربك ما دام موجودًا، والشيطان مخلوق من النار وسيعذب بالنار فكيف تعذب النار بالنار؟ والشر والخير مقدران على الإنسان فلم الثواب ولم العقاب؟

قال أبو حنيفة:

- إن الإجابة على أسئلتكم الثلاثة تحتاج إلى وسائل إيضاح:

فقالوا:

- هات ما شئت.

فمال أبو حنيفة والتقط طوبة وهو بها على رأس زعيم الملحدين فصرخ صرخة منكرة.

فأقبل وزير الملك مسرعًا مستنكرًا ما حدث فقال أبو حنيفة:

- إن ضربه وسيلة لتوضيح الإجابة على أسئلته.

فقالوا:

كيف.

- قال أبو حنيفة:

- هل أحدثت هذه الضربة ألمًا؟

فقال زعيم الملحدين وهو يتحسس رأسه:

- نعم.

فقال أبو حنيفة:

- وأين يوجد الألم؟

قال زعيم الملحدين:

- في الجرح.

فقال أبو حنيفة:

- أظهر لي الألم الموجود في الجرح فأظهر لك الرب الموجود في الكون، والطوبة من طين وأنت مخلوق من طين فكيف عذب الطين الطين؟ وضربك مقدر فلم استغثت ليلحقوا بي العقاب؟

فقال زعيم الملحدين عندئذ:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

وأحجم بقية الملحدين:

فيالك من آيات حق لو اهتدى ... بهن مريد الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب أكنة ... فليست وإن أصغت تجيب المناديا

لماذا أخرت صلاة العصر؟

أخر أمير المؤمنين هارون الرشيد صلاة العصر ذات يوم، فدخل عليه يعقوب بن إبراهيم ومعه كوب من الماء وقال له:

- السلام على أمير المؤمنين.

فرد هارون الرشيد السلام.

فقال أبو يوسف:

- يا أمير المؤمنين: لو أن الأرض جفت ماؤها واشتد بك الظمأ وجئت إليك بنصف هذا الكوب من الماء لتشربه فكم تعطيني؟

قال أمير المؤمنين:

- أعطيك نصف ملكي.

فقال يعقوب بن إبراهيم:

- فإذا شربت الماء وحبس فيك الماء فلم ينصرف وجاءك طبيب ليصرف الماء بعد حبسه فكم تعطيه؟

قال هارون الرشيد:

- أعطيه النصف الآخر من مملكتي

فقال أبو يوسف:

- الله سقاك الماء مجانا وصرفه عنك مجانا ومع ذلك أخرت صلاة العصر.

قالوا عن أبي يوسف

* قال أحمد:

كان أبو يوسف منصفًا في الحديث.

* قال ابن معين:

ليس في أصحاب الرأي أحد أكثر حديثًا ولا أثبت منه.

وعنه أيضًا:

أبو يوسف صاحب حديث وصاحب سنة.

* قال المزني:

أبو يوسف أتبع القوم للحديث.

* قال الفلاس:

أبو يوسف صدوق، كان يعرف بالحفظ للحديث وكان يحضر المحدث فيحفظ خمسين حديثًا فيقوم فيمليها على الناس.

* قال ابن سعد:

لزم أبو يوسف أبا حنيفة النعمان بن ثابت فتفقه وغلب عليه الرأى وجفا الحديث.

يعقوب بن إبراهيم القاضي والقرآن العظيم:

سأل رجل أبا يوسف عن معنى قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ} [سورة البقرة الآية: ٣].

فقال يعقوب بن إبراهيم:

ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب.

ثم قرأ: {ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ}.

وكان أبو يوسف إذا قرأ: {وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ} [سورة الحج الآية: ٢٨].

قال:

إن الأيام المعلومات: أيام النحر.

قال أبو يوسف:

روى ذلك عن عمر وعلى وإليه أذهب لأنه تعالى قال: {وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ} [سورة الحج الآية: ٢٨].

وسئل يعقوب بن إبراهيم القاضي عن رجل أسلم ثم ارتد.

فقال أبو يوسف:

- أن المرتد يعرض عليه الإسلام فإن أسلم وإلا قتل مكانه، إلا أن يطلب أن يؤجل، فإن طلب ذلك يؤجل ثلاثة أيام.

قال رسول الله ﷺ : **من بدل دينه فاقتلوه** .

وقال عليه الصلاة والسلام: **لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان..** .

ثم قرأ: {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ} [سورة البقرة الآية: ٢١٧].

وسئل أبو يوسف عن ميراث المرتد فقال:

- ما اكتسب المرتد بعد الردة فهو لورثة المسلمين.

وكان أبو يوسف إذا قرأ: { وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ } [سورة البقرة الآية: ٢٢٢].

قال:

تدع الصلاة عشرا ثم تغتسل وتصلى عشرين يومًا، ثم تترك الصلاة بعد العشرين عشرًا، فيكن هذا حالها حتى ينقطع الدم عنها.

أما التي لها أيام معلومة فإنها تستطهر على أيامها المعلومة بثلاثة أيام.

وسئل أبو يوسف ما يستباح من للمرأة وهي في المحيض.

فقال يعقوب بن إبراهيم:

له منها ما فوق الإزار لقوله ﷺ للسائل حين سأله:

- ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟

فقال عليه الصلاة والسلام:

- **لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها** .

وكان أبو يوسف إذا قرأ: {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ } [سورة البقرة الآية: ٢٢٢].

قال:

لا تدن منه على شرطين: أحدهما **انقطاع الدم** وهو قوله: {حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ }.

والثاني: **الاغتسال بالماء** وهو قوله تعالى: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ } [البقرة: ٢٢٢] أي: يفعلن الغسل بالماء.

وسئل أبو يوسف عن قوله تعالى: { ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ } [سورة البقرة الآية: ٢٢٩].

اختلف العلماء فيمن قال لامرأته:

- قد طلقتك.

إنه صريح الطلاق في المدخول بها وغير المدخول بها.

فمن قال لامرأته:

- قد فارقتك أو سرحتك أو أنت خلية أو برية أو بائن أو حبلك على غاربك، أو أنت عليَّ حرام أو الحقي بأهلك أو قد وهبتك لأهلك أو قد خليت سبيلك أو لا سبيل لي عليك.

قال أبو حنيفة وأبو يوسف:

- هو طلاق بائن.

وقال أبو يوسف:

- هي ثلاث ومثله خلعتك أو لا ملك لي عليك.

وكان يعقوب بن إبراهيم إذا قرأ: {وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ} [سورة البقرة الآية: ٢٣٨].

قال:

معناه في صلاتكم.

قال محمد بن الحسن:

- إذا صلى الإمام المريض جالسًا يقوم أصحاء ومرضى جلوسًا فصلاته وصلاة من خلفه ممن لا يستطيع القيام صحيحة جائزة، وصلاة من صلى خلفه ممن حكمه القيام باطلة.

قال أبو حنيفة وأبو يوسف:

- صلاته وصلاتهم جائزة

وسئل أبو يوسف:

- لماذا كان العرب في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة؟

فقال:

قال ابن عباس:

كان العرب يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل يقولون:

- لا نطوف بثياب عصينا فيها الله.

فقال الرجل:

- لماذا سمي البيت العتيق؟

قال يعقوب بن إبراهيم:

قال تعالى: { ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾} [سورة الحج الآية: ٢٩].

وقد اختلف في هذ التسمية فقيل:

إنه القديم لأنه أول بيت وضع للناس.

وقال ابن عباس:

سمي عتيقًا لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه، فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله.

وكان أبو يوسف إذا قرأ: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾} [سورة ق الآية: ١٦].

قال:

الوسوسة : الصوت الخفي ومنها وسواس الحلى، ووسوسة النفس: ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس.

وحبل الوريد مثل في فرط القرب، كقولهم: هو مني معقد الإزار.

وقال ذو الرمة:

هل أغدو في عيشه رغيد ⁝ والموت أدنى لي من الوريد

أي: لا أكون في عيشة واسعة والحال أن الموت أقرب إليَّ من حبل الوريد.

وقرأ رجل: {وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ} [سورة البقرة الآية: ٢٨٢].

فسأل أبا يوسف عن شهادة الأعمى.

فقال أبو يوسف:

- إذا علمه قبل العمى جازت الشهادة بعد العمى، ويكون العمى الحائل بينه وبين المشهود عليه كالغيبة والموت في المشهود عليه.

وسأل رجل أبا يوسف عن قول تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ} [سورة آل عمران الآية: ٩٧].

قال يعقوب بن إبراهيم:

الحج على التراخي لا على الفور.

وقد أجمع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج إذا أخره العام أو العامين.

وكان أبو يوسف إذا قرأ: { ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ } [سورة آل عمران الآية: ١٩١].

قال:

يجلس المريض في صلاته كلها كجلوس التشهد.

وسأل رجل يعقوب بن إبراهيم عن قوله تعالى: {إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ } [سورة التوبة الآية: ٦٠].

قال أبو يوسف:

إن الفقير والمسكين سواء لا فرق بينهما في المعنى وإن افترقا في الاسم.

وكان أبو يوسف إذا قرأ: {وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً} [سورة يونس الآية: ٨٧].

قال:

قيام رمضان في البيت أفضل من قيامه في المسجد لمن قوى عليه.

وسأل رجل يعقوب بن إبراهيم القاضي عن قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩} [سورة الأحزاب الآية: ٤٩].

اختلفوا إذا كانت بائنة غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول.

فقال أبو يوسف:

- لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقلة.

جعلوها في حكم المدخول بها لاعتدادها من مائه.

وكان أبو يوسف إذا قرأ: { وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧} [سورة الصافات الآية: ١٠٧].

قال:

ليست الأضحية بواجبة ولكنها سنة غير مرخص لمن وجد السبيل إليها في تركها.

من أقوال يعقوب بن إبراهيم:

قال أبو يوسف:

* من طلب غرائب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب الدين بالكلام تزندق.

* الخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم.

أبو يوسف القاضي وأحاديث الرحمة المهداة ﷺ :

أسند يعقوب بن إبراهيم عن هشام بن عروة، وعطاء بن السائب.

وروى عنه ابن معين، وأحمد، وعليَّ بن الجعد.

* عن عروبه الحارثي في مسند القاضي أبي يوسف عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليَّ أن النبي ﷺ قضى بشهادة رجل واحد مع يمين صاحب حق.

وقضى به عليَّ بالعراق (رواه أبو عبد الله بن باكويه في أماليه).

وفاة أبي يوسف القاضي:

ذات يوم جاء إلى يعقوب بن إبراهيم يهودي يتظلم من أمير المؤمنين هارون الرشيد أخذ منه مالاً ولم يرده إليه.

فأرسل أبو يوسف إلى الرشيد فأحضره، فلما مثل أمير المؤمنين بين يدي يعقوب بن إبراهيم قال:

- يا هارون: إن هذا الرجل يدعي عليك أنك أخذت منه مالاً.

فقال أمير المؤمنين:

- أن مبطل في دعواه.

فالتفت أبو يوسف إلى اليهودي وتساءل:

- هل لديك بينة؟

فقال اليهودي:

- وهل أستطيع أن أستحضر شهودًا يشهدون على أمير المؤمنين؟

فسكت يعقوب بن إبراهيم هنيهة ثم قال:

- يا هارون: ادفع إلى اليهودي ما ادعاه.

ولما حضرت أبي يوسف الوفاة رفع يديه إلى السماء وقال:

اللهم إنك تعلم أني لم أمل لأحد من الخصمين حتى بالقلب، إلا في خصومة بين الرشيد واليهودي، لم أسو بينهما، وحكمت على الرشيد.

ثم اخضلت لحيته بالدموع.

وفاضت روحه.

ومات لخمس ليال خلون من ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة في خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد عن تسع وستين سنة.

* * *